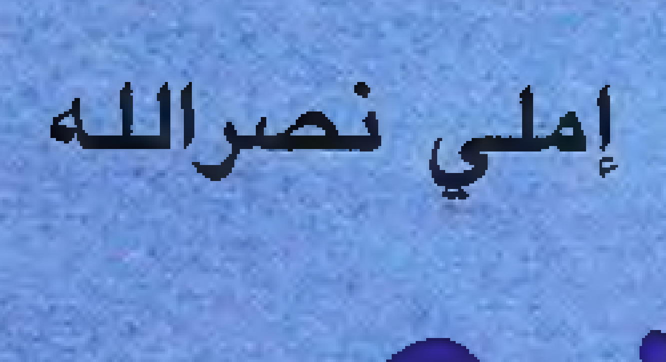
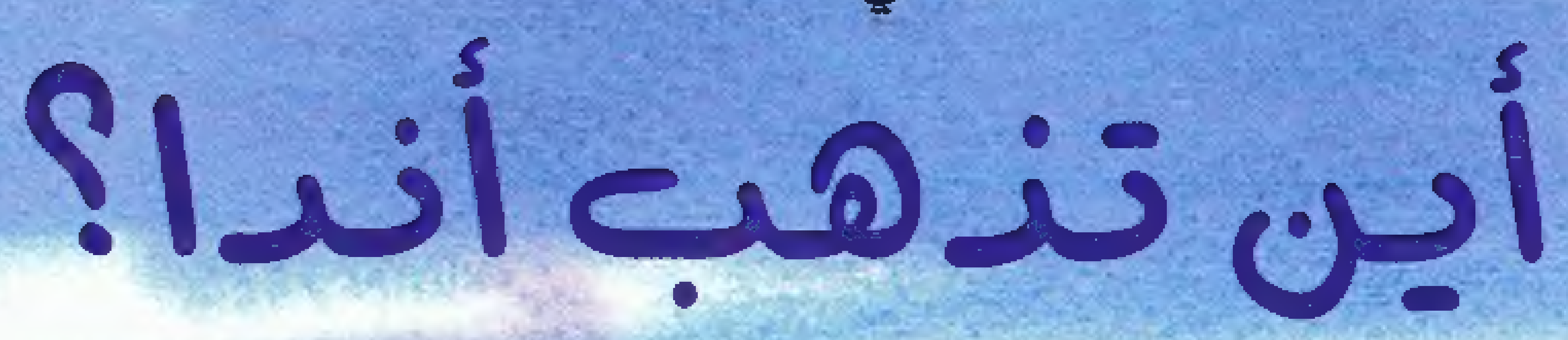




رسوم مها نصرالله

دار الإبداع
الحرف الذهبي

أين تذهب
أندا؟

قصة

إملي نصرالله

رسوم

مها نصرالله

الطبعة الأولى

٢٠٠٢

أين تذهب أندا؟





كُوْخُها عِنْدَ طَرَفِ ٱلقَرْيَةِ؛ وَ«أَنْدا» ٱلـخَوْتا تَأْوي كُلَّ لَيْلَةٍ إِلى ذَلِكَ ٱلكوخ.
لَمْ يَكُنْ عِنْدَها سِوى قِنْديلِ كازٍ، وَكانَتْ تَنامُ مَعَ غُروبِ ٱلشَّمْس.
«مِثْلَ ٱلطُّيورِ وَٱلعَصافيرِ» تَقولُ عَنْها ٱلنِّساءُ: «أَنْدا ٱلـخَوْتا تَبيتُ عِنْدَما يَبيتُ ٱلطَّيْرُ». يَقولُ ٱلرِّجال.



فِي ذَلِكَ ٱلزَّمانِ، كانَتِ ٱلقَرْيَةُ تَسْهَرُ عَلى قَناديلِ ٱلكاز. يَلْتَقي ٱلأَهْلُ وَٱلجيرانُ فَوْقَ ٱلمَصاطِبِ وَٱلشُّرُفاتِ يَتَسَلَّوْنَ بِسَرْدِ ٱلنَّوادِرِ وَٱلحِكايات.

وَكانَ ٱلسَّهَرُ يَحْلو في ضَوْءِ ٱلقَمَر.

ذاتَ مَساءٍ، وَبَعْدَما طَلَعَ ٱلقَمَرُ بَدْرًا كامِلًا مِنْ خَلْفِ ٱلجِبالِ ٱلشَّرْقِيَّةِ، سَمِعَ ٱلنَّاسُ أَنْغامًا عَذْبَةً تَأْتي مِنْ بَعيدٍ، وَكَانَتِ ٱلرِّيحُ تَهُبُّ مِنْ كُلِّ مَكانٍ.

مِنْ أَيْنَ تَأْتي ٱلأَنْغامُ؟

مَنْ يَعْزُفُ هَذِهِ ٱلأَلْحانَ ٱلعَذْبَةَ؟

وَأَصْداءُ ٱلغِناءِ، هَلْ هِيَ أَصْواتُ إِنْسٍ أَمْ جان؟!







راحَ ٱلنّاسُ يَسْأَلونَ، وَلا مَنْ يُجيب.

قالَ شَيْخُ ٱلجماعَةِ وَهْوَ يُمَلِّسُ لِحْيَتَهُ ٱلبَيْضاءَ:

– عَلَيْنا أَنْ نَكْتَشِفَ مَصْدَرَ ٱلأَلْحان.

وَرَدَّدَتْ بَعْدَهُ ٱلأَصْواتُ:

– عَلَيْنا أَنْ نَكْتَشِفَ مَصْدَرَ ٱلأَلْحان.

تَطَوَّعَ ٱثْنانِ مِنَ ٱلفِتْيانِ، «راجي» وَ«عَنْتَر»، لِيَقوما بِٱلمَهَمَّة:

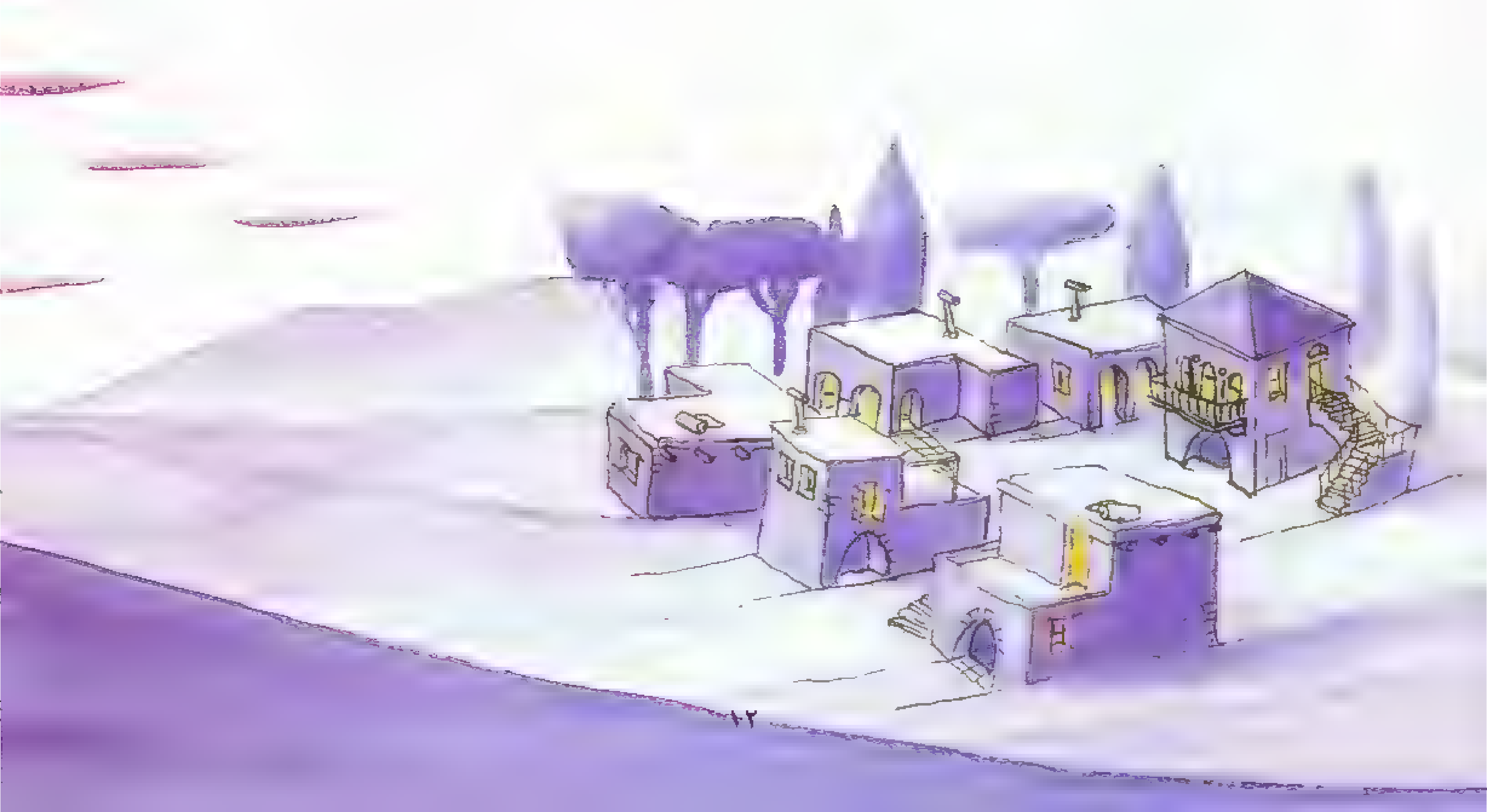
– سَنَذْهَبُ إِلى رَأْسِ ٱلتَّلَّةِ لِنَرى ما إِذا كانَ ٱلوادي ٱلمَسْحورُ مَصْدَرَ ٱلأَلْحان.

قالَ ٱلشَّيْخُ ٱلوَقورُ:

– إِذْهَبا يا وَلَدَيَّ، وَلْتُرافِقْكُما ٱلسَّلامَة.



لَمْ تَكُنِ ٱلتَّـلَّةُ بَعيدَةً عَنْ حُدودِ ٱلقَرْيَة.
وَكانَ ٱلنَّاسُ يَقْصِدونَها في ٱلأَعْيادِ، وَيَنْتَظِرون.
مِنْ أَيَّامِ ٱلأَجْدادِ وَهُمْ يَنْتَظِرونَ وَيَقولون:
– سَوْفَ يَأْتي شَخْصٌ واحِدٌ، يَطْلُعُ مِنَ ٱلـمَجْهولِ، يُوقِظُ أَشْباحَ ٱلوادي لِتُنْشِدَ تَرانيمَ عالَـمِها... تَرانيمَ لَمْ يَسْمَعْها أَحَدٌ مِنَ قَبْل.
وَكانَ «راجي» يَسْمَعُ ٱلـحِكايَةَ مِنْ جَدَّتِهِ، وَسَمِعَها «عَنْتَرْ» مِنَ ٱلـجارات.









رَاحَ ٱلْفَتَيانِ يَسيرانِ صُعُدًا بَيْنَ أَحْراجِ ٱلصَّنَوْبَرِ وَٱلسِّنْدِيان.
وَٱلْقَمَرُ ٱلسَّاهِرُ في ٱلْفَضاءِ، يُنيرُ بِأَشِعَّتِهِ دُروبَهُما.
سادَ ٱلصَّمْتُ أَجْواءَ ٱلسَّهْرَةِ، وَتَوَقَّفَ ٱلرُّواةُ عَنِ ٱلْكَلام.
وَجَلَسَ ٱلْجَميعُ يَنْتَظِرونَ عَوْدَةَ ٱلرَّسولَيْن.



وَلَمْ يَطُلِ ٱلغِياب.

رَجَعَ ٱلفَتَيانِ مُتَحَمِّسَيْنِ،

وَراحا يَرْوِيانِ:

- سَمِعْنا ما لَمْ تَسْمَعْهُ أُذُنٌ،

وَأَبْصَرْنا ما لَمْ تُبْصِرْهُ عَيْن.

كانَ ٱلوادي مُزْدَحِمًا بِحُضورِ

مَخْلوقاتٍ خياليَّةٍ تَظْهَرُ مَرَّةً وَتَغيبُ مَرَّاتٍ! وَكانَتْ تُلَوِّحُ لَنا مِنْ خَلْفِ جِدارٍ شَفَّاف، وَكَأَنَّهُ صُنِعَ مِنْ زُجاج!

- وَلكِنْ ما هُوَ مَصْدَرُ ٱلصَّوْتِ؟ سَأَلَتْ عَجوزٌ كَفيفَةُ ٱلبَصَرِ يُلَقِّبونَها ٱلعَرَّافَة، وَكَرَّرَتِ ٱلسُّؤال:

- خَبِّرونا، مِنْ أَيْنَ تَأْتي ٱلأَنْغام؟





قالَ «راجي»:

- وَكانَتِ ٱلقاماتُ تَتَمايَلُ بِٱلرَّقْصِ على إِيقاعِ ٱلأَنْغام، وَتَبْدو وُجوهُ ٱلرَّاقِصينَ مِثْلَ ٱلنُّجومِ ٱلمُنيرَةِ. وَكانَتِ ٱلأَلْحانُ تَأْتي مَعَ هُبوبِ ٱلرِّيحِ، وَتَتَوَزَّعُ في كُلِّ ٱلجِهّات.

اِزْدادَتْ حَيْرَةُ ٱلجَماعَةِ، فَقَدْ نَجَحَ «راجي» وَ«عَنْتَر» بِوَصْفِ ٱلمَشْهَدِ، وَظَلّا عاجِزَيْنِ عَنْ مَعْرِفَةِ ٱلسِّرِّ ٱلكَبيرِ وَراءَ تِلْكَ ٱلظّاهِرَة.

نَهَضَ ٱلشَّيْخُ ٱلجَليلُ وَقالَ بِصَوْتٍ هادِئٍ:

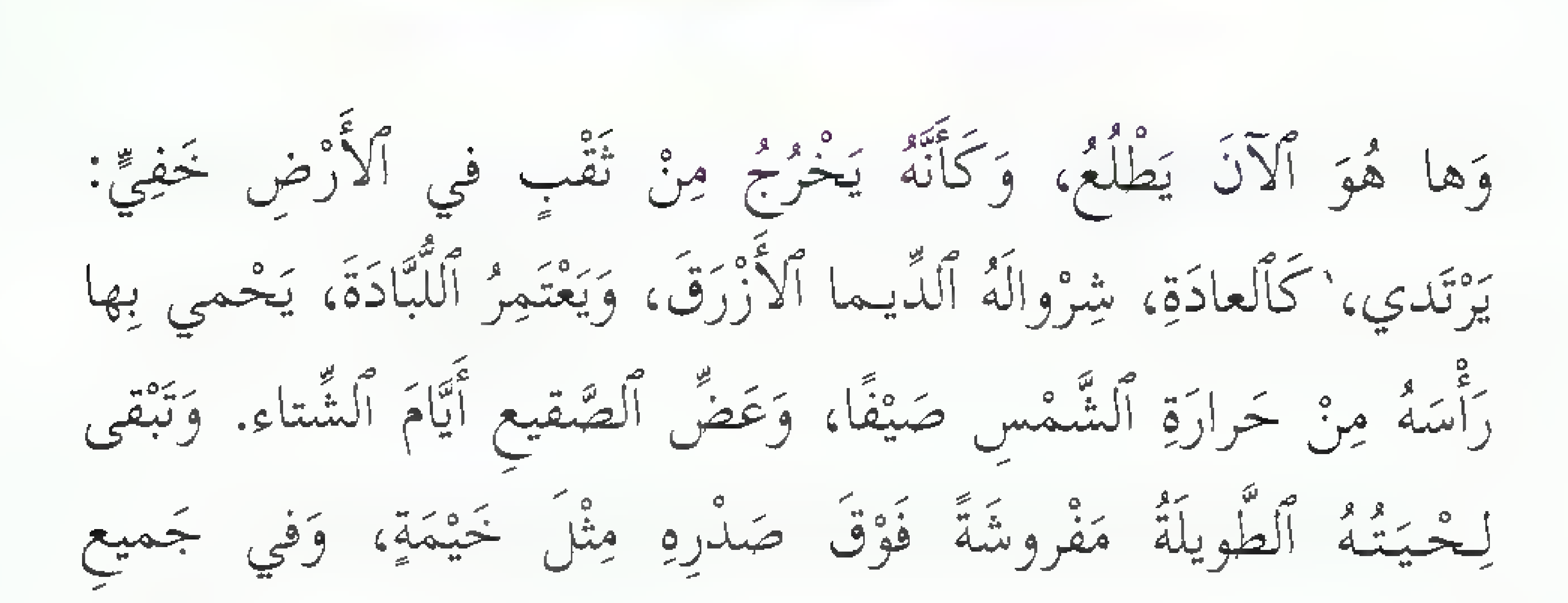
- عَلَيْنا أَنْ نَسْتَدْعِيَ «ٱلدَّحْنون» رَبيبَ ٱلبَراري وَٱلكُرومِ، فَلَيْسَ هُناكَ مَنْ يَعْرِفُ أَسْرارَ ٱللَّيالي ٱلمُقمِرَةِ سِواه.

وَقالَ ٱلجَميعُ بِصَوْتٍ واحِدٍ:

- «ٱلدَّحْنون» يَمْلِكُ مِفْتاحَ ٱلأَسْرار.

وَ«ٱلدَّحْنون» يُطِلُّ مَرَّةً كُلَّ شَهْرٍ وَحينَ يَكْتَمِلُ ٱلقَمَرُ، وَيُصْبِحُ بَدْرًا تَمامًا. وَٱلنّاسُ يَنْتَظِرونَهُ عِنْدَما يَهْبِطُ مِنْ شَماريخِ ٱلتِّلالِ، حَيْثُ يُقيمُ في جَميعِ ٱلفُصول.





وَها هُوَ ٱلآنَ يَطْلُعُ، وَكَأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ثَقْبٍ في ٱلأَرْضِ خَفِيٍّ: يَرْتَدي، كَٱلعادَةِ، شِرْوالَهُ ٱلدِّيما ٱلأَزْرَقَ، وَيَعْتَمِرُ ٱللُّبَّادَةَ، يَحْمي بِها رَأْسَهُ مِنْ حَرارَةِ ٱلشَّمْسِ صَيْفًا، وَعَضِّ ٱلصَّقيعِ أَيَّامَ ٱلشِّتاء. وَتَبْقى لِحْيَتُهُ ٱلطَّويلَةُ مَفْروشَةً فَوْقَ صَدْرِهِ مِثْلَ خَيْمَةٍ، وَفي جَميعِ ٱلفُصول.

– هات يا «دَحْنون» خَبِّرْنا ماذا تَعْرِفُ عَنِ ٱللَّيالي ٱلمُقْمِرَةِ، وَأَسْرارِ ٱلأَلْحان!...

سَأَلَهُ ٱلصَّوْتُ ٱلجَماعِيُّ.

تَرَبَّعَ «ٱلدَّحْنونُ» مِثْلَما يَجْلِسُ دائِمًا، وَبَدَأَ بِصَوْتِهِ ٱلعَتيقِ يَرْوي ٱلحِكايَةَ ٱلَّتي ما عَرَفَها أَحَدٌ سِواهُ:



- أَنْتُمْ تُوَدِّعونَها كُلَّ مَساءٍ، وَتُبْصِرونَها عِنْدَما تَدْخُلُ كوخَها وَتَرُدُّ خَلْفَها ٱلباب. وَلا تَسْأَلونَ: «أَيْنَ تَذْهَبُ «أَنْدا» بَعْدَما يُسْدِلُ ٱللَّيْلُ خِيامَهُ ٱلسَّوْداءَ؟» وَلا تُبْصِرونَها تَتَوَكَّأُ عَلى عُكّازِها وَهِيَ تَقودُ خُطاها بِٱتِّجاهِ ٱلوادي حَيْثُ يَنْتَظِرُها أَصْدِقاءُ مِنْ عالَمٍ غَريبٍ عَجيبٍ، حَياتُهُمْ كُلُّها رَقْصٌ وَأَنْغام! أَوَلا تَذْكُرونَ أَحاديثَ ٱلجَدّاتِ وَٱلأَجْدادِ، حينَ كانوا يُخْبِرونَكُمْ قائِلينَ: «سَوْفَ يَأْتي شَخْصٌ واحِدٌ يَطْلُعُ مِنَ ٱلمَجْهولِ، يوقِظُ أَشْباحَ ٱلوادي لِتُنْشِدَ تَرانيمَ عالَمِها... تَرانيمَ لَمْ يَسْمَعْها أَحَدٌ مِنْ قَبْل»؟!





وَ«أَنْدا» كَتَمَتْ سِرَّها طَوالَ سِنين، وَظَلَّتْ تَزورُ ٱلوادي لِتَلْتَقيَ أَصْدِقاءَ عالَمِها ٱلآخَرِ، حَيْثُ ٱلنُّورُ وَٱلفَرَحُ وَٱلموسيقى، فَتَقْوى عَلى تَحَمُّلِ عَيْشِها ٱلقاسي في ٱلوَحْدَةِ وَٱلشَّقاءِ، وَتُقاوِمُ مُشاكَساتِ أَوْلادِ ٱلضَّيْعَةِ، فَتُبادِلُهُمْ مُضايَقاتِهِمْ بِٱبْتِسامَتِها ٱلبَسيطَة...



صَمَتَ «ٱلدَّحْنون»، وَخَيَّمَ ٱلسُّكوتُ عَلَى ٱلسّامِعينَ، فَنَهَضَ ٱلشَّيْخُ ٱلوَقورُ، وَكَأَنَّهُ ٱسْتَعادَ هِمَّةَ ٱلشَّباب:

– وَماذا تَنْتَظِرونَ؟ هَيّا، خُذْنا يا «دَحْنون» إِلى ٱلوادي ٱلـمَسْحورِ، وادي ٱلـمَرَحِ، فَقَدْ تاقَتْ نُفوسُنا وَأَجْسادُنا لِلْرَّقْصِ وَٱلغِناء!



هَبَّتِ ٱلجَماعَةُ وَكَأَنَّها جَسَدٌ واحِدٌ، وَسارَ ٱلرِّجالُ وَٱلنِّساءُ وَٱلأَوْلادُ في مَوْكِبٍ أَشْبَهَ بِمواكِبِ ٱلأَعْياد. اِجْتازوا ٱلسَّهْلَ، تَخَطَّوا ٱلسَّفْحَ، وَراحوا يَتَسَلَّقونَ ٱلتَّلَّةَ ٱلمُشْرِفَةَ عَلَى ٱلوادي. عِنْدَما بَلَغوا قِمَّةَ ٱلتَّلَّةِ، ٱنْبَلَجَ نُورٌ قَوِيٌّ مِثْلَ نورِ ٱلشَّمْسِ وَقْتَ ٱلظَّهيرَة. وَكانَ ٱلنُّورُ يَأْتي مِنْ أَعْماقِ ٱلوادي، وَيَنْتَشِرُ في كُلِّ مَكانٍ؛ فَتَبْدو قاماتُ ٱلرَّاقِصينَ وَظِلالُها مُتَمايِلَةً، كَقاماتِ ٱلنَّخيل.



وَأَبْصَروا «أَنْدا» في طَليعَةِ ٱلرَّاقِصين...

«أَنْدا» ٱلـخَوْتا، ما غَيْرَها؛ كانَتْ تَرْتَدي ثَوْبًا مِنَ ٱلـحَريرِ ٱلـمُقَصَّبِ تَتَماوَجُ فيهِ شَتَّى ٱلأَلْوان.

وَكانَ شَعْرُها بِلَوْنِ سَنابِلِ ٱلقَمْحِ وَقْتَ ٱلـحَصادِ، يَنْسَدِلُ عَلَى كَتفَيْها، وَيَتَدَلَّى حَتَّى يَكادَ أَنْ يُلامِسَ ٱلأَرْضَ، وَهِيَ تَرْقُصُ بِرَشاقَةِ راقصاتِ «ٱلباليه».

ما كانَ أَحَدٌ عَرَفَها لَوْ لَمْ تَلْتَفِتْ صَوْبَ ٱلقِمَّةِ، وَتُلَوِّحْ لِلْجَماعَةِ بِمِنْديلِها ٱلـحَريرِيِّ ٱلأَزْرَقِ، ثُمَّ يَفْتَرَّ ثَغْرُها عَنِ ٱبْتِسامَةٍ ساذَجَةٍ تُـمَيِّزُها، وَتَكْشِفُ عَنْ بَقايا أَسْنانٍ لَها.





ظَلَّتْ تَرْقُصُ، وَتُلَوِّحُ بِٱلْمِنْديلِ، حَتَّى أَدْرَكَتِ ٱلْجَماعَةُ قَصْدَها: كانَتْ تَدْعو أَهْلَ قَرْيَتِها لِيَهْبِطوا إِلى ٱلوادي، وَيُشارِكوها وَأَصْدِقاءَها ٱلرَّقْصَ وَٱلعَزْفَ وَٱلغِناء.

وَلَبَّى ٱلْجَميعُ دَعْوَتَها. وَفي خِلالِ لَحَظاتٍ، كانوا يَنْضَمُّونَ إِلَيْها، وَإِلى أَصْدِقائِها، سُكَّانِ ٱلوادي ٱلْمَسْحور، وَظَلُّوا يَرْقُصونَ مَعَهُمْ حَتَّى طُلوعِ ٱلفَجْرِ، دونَ أَنْ يَشْعُروا بِتَعَبٍ أَوْ نُعاس.





وَعِنْدَما أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ، ٱخْتَفى سُكّانُ ٱلوادي وَبَقِيَتْ أَمامَهُمْ «أَنْدا»، مِثْلَما عَرَفوها دائِمًا، بِثَوْبِها ٱلقَديمِ وَشَعْرِها ٱلـمُشَعَّثِ، وَكانَتْ تَبْتَسِمُ وَتَغْمِزُ بِإِحْدى عَيْنَيْها غَمْزَةً ذاتَ مَعْنًى، وَكَأَنَّها تَقولُ لَهُمْ:

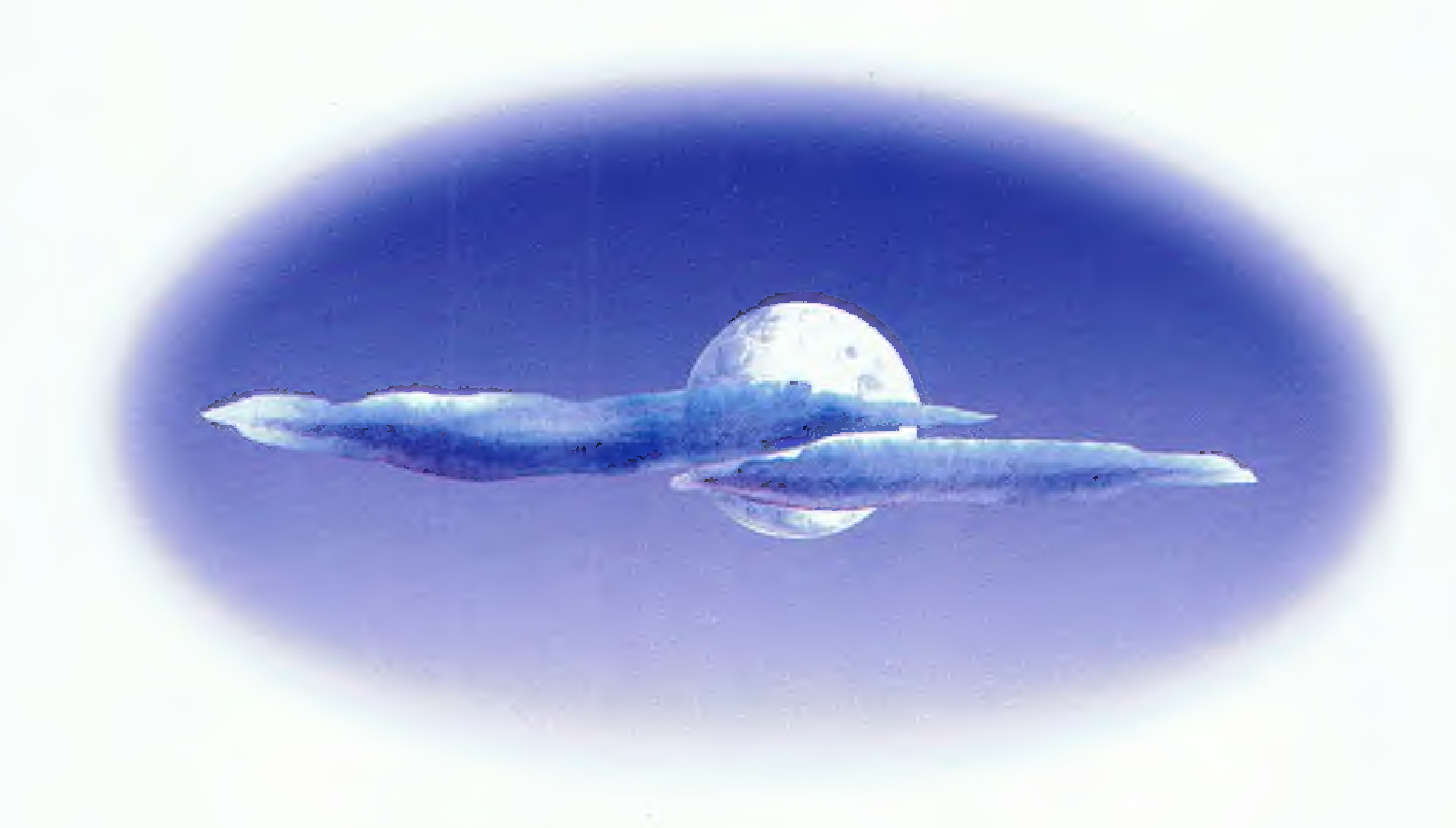
- ٱلآنَ، لَمْ يَعُدْ بَيْنَنا مَسافاتٌ أَوْ أَسْرار...

جديدة المتن × شارع مار يوحنا × الطبقة الثامنة

هاتف : ٠١/٨٨٤١٣٥ - ٠١/٨٩٧٤٤٦ خليوي : ٠٣/٣٥٤٦٨٨ - ٠٣/٣٠٤٠٩٢

فاكس : ٠٠٩٦١/١/٨٩٧٤٤٦ × ص.ب. ٩٠/١٩٥٤ × بيروت - لبنان

E-mail : daribdaa @ globesat.com



تعود "أندا الخوتا" في هذا الجزء الثاني من
قصّتها (أين تذهب أندا)
وتدعونا كي نرافقها في رحلة جديدة
ومدهشة إلى عالمها!...